جمعية الشباب السوفي الزيتوني

إعداد

الأستاذ : محمد السعيد عقيب

أستاذ مساعد مكلف بالدروس بقسم التاريخ

جامعة الوادي . الجزائر .

الملخص :

جمعية الشباب السوفي الزيتوني، تأسست في ماي 1937 بتونس، من طرف مجموعة من الجزائريين المنحدرين من وادي سوف، بهدف مساعدة أبناء بلدتهم من الطلبة الدارسين بالمسجد الكبير، ولتكون علاقات تعاون وتآزر بين المنخرطين فيها .

وهذا المقال يقدم مجموعة من المعلومات عن أعضاء المكتب لهذه الجمعية، والتي لم يكن لها أي صبغة سياسية.

Résumé:

-L' association " Echabeb Essoufi Ezzeitouni " à été fondée en Mai 1937 à Tunis par un groupe d' algériens originaire d' oued-souf, dans le but venir en aide à leurs compatriotes étudiants à la grande mosquée –Ezzeotouna- . est se formée des lieus d' amitié entre ses adhérents.

Cet article présente des renseignements recueillis sur les membres du bureau directeur de l' association .qui ne parait pas avoir aucun caractère politique

تمهيد :

تعد فترة الثلاثينيات من القرن العشرين فترة خصبة في تاريخ الحركة الطلابية الجزائرية، سواء داخل الوطن أو خارجه ؛ إذ تميزت خلالها جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بنشاط هام وكبير، حيث أقامت العديد من المؤتمرات بكل من فرنسا وتونس والجزائر والمغرب . عالجت فيها عددا من أبرز القضايا المتعلقة بالتعليم ، وحتى بالسياسة في أقطار المغرب العربي .

وكان الأمر نفسه بالنسبة لجمعية الطلبة الجزائريين بالزيتونة ، فأظهر الطلبة من خلالها مدى ارتباطهم بقضايا وطنهم وشعبهم، ودفاعهم عن مطالبهم المختلفة، وقدرتهم على تحدي الإدارة الاستعمارية .

إضافة إلى هاتين الجمعيتين ظهرت العديد من الجمعيات الأخرى في صفوف الطلبة ، من بينها « جمعية الشباب السوفي الزيتوني » التي جمعت في صفوفها الطلبة والشباب القادمين من منطقة وادي سوف بالجنوب الشرقي الجزائري إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة.

فما هي عوامل ظهور هذه الجمعية ؟ وما هي أهدافها ؟ وما الخطوط العريضة لقانونها الداخلي ؟ ومن الأعضاء الذين قاموا بتأسيسها ؟ .

سنحاول تحليل هذه الأسئلة بالاعتماد على ما عثرنا عليه من وثائق استقيناها من مركز الأرشيف الوطني التونسي ، والتي نعتقد أنه لأول مرة يتم الكشف عنها.

أولا : عوامل ظهور الجمعية :

إن التغيرات التي كانت تعيشها الجزائر وتونس خلال فترة الثلاثينيات من القرن العشرين ، ساهمت في التحول الهام الذي شهدته الفئة الطلابية ، وهذا ما نلمسه من خلال انخراط الكثير منهم في تشكيلات الحركة الوطنية إذ شكل الطلبة الخزان الممون لها بمختلف أطيافها ، سواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،أو حزب الشعب الجزائري أو الحزب الشيوعي وغيره.

ويعد توجه الطلبة للدراسة بتونس مظهرا من مظاهر هذا التحول ، فهؤلاء لم يكن خروجهم للدراسة في الزيتونة لتلقي العلم فحسب ، بل تجاوزوا ذلك إلى النشاط الصحفي والنقابي والاجتماعي وغيره.ومن الطبيعي أن ظهور جمعية أي كانت لم يكن بمحظ الصدفة ، بل كان نتيجة لعوامل عدة ، ولذا فإن ظهور جمعية الشباب السوفي الزيتوني ليشذ عن هذه القاعدة. ومن العوامل التي أدت إلى ظهورها .

1 ـ تزايد الطلبة السوافة بجامع الزيتونة :

يقف وراء تواجد وتزايد الطلبة المنحدرين من منطقة وادي سوف بجامع الزيتونة أسبابا عدة ، لعل من أهمها القرب الجغرافي فهذه المنطقة منطقة حدودية مع تونس فهي على سبيل المثال لا تبعد عن مدينة توزر إلا بحوالي مائة وعشرون كيلو مترا تقريبا .

إضافة على هذا توفر الرغبة في الاستزادة من العلم ، فمن المعروف أن انتشار التعليم القرآني في وادي سوف كان ولا يزال واسع الانتشار في المساجد والزوايا ، فهو يلقى رواجا واسعا واهتماما بالغا لدى السكان و أبنائهم . أكد على ذلك الكاتبة الفرنسية ـ سيلي ميللي ـ بقولها :« ... وليس غريبا أن نجد واحدا من عشرة يحفظ القرآن كله ، بينما في باقي إفريقيا الشمالية فإن هذه المعرفة خاصة بالطلبة وبعض الخواص ن نسبة واحد في الألف....» [1]. وأثنى على ذلك الشيخ حمزة بوكوشة[2] حين تحدث عن ظاهرة انتشار التعليم القرآني في وادي سوف خلال الثلاثينيات من القرن الماضي بقوله :«... حتى لا تكاد تجد بسوف أميا ، لأن التعليم منتشرا فيها انتشارا ... » .

زيادة عما سبق فإن زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس للمنطقة وحثه للطلبة على الذهاب على الزيتونة كان أمرا محفزا على توجه العديد منهم إلى هنالك ، وأذكت روح النهضة في المنطقة ، ونتيجة لذلك سافر العديد منهم إلى تونس

للدراسة في جامع الزيتونة، وكان هؤلاء الشبان يعودون في صيف كل عام فيتصلون بشباب جدد ينشرون بينهم أفكارا جديدة ، فكان عددا الذاهبين يزداد في خريف كل سنة [3].

2. تنامي الوعي لدى الطلبة :

وجود الطلبة بجامع الزيتونة ، مع ما كان يشهده هذا الجامع من حركية علمية وفكرية ، ساهمت في تفتيق أذهان الطلبة الذين قصدوه للاستزادة من العلم فقط . لكن وجودهم إلى جانب الطلبة من الأقطار الأخرى ، واختلاف المشارب لديهم ، ثم نمو الحركة السياسية الوطنية في تونس ذاتها ، والتي لها ارتباط بالمسجد الكبير دون شك كان لها تأثير عن تطور الوعي لدى الطلبة الدارسين به. [4].

فجامع الزيتونة كان فيما يمكن أن نصفه بعنفوان قوته وتوهجه بعد تولي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شؤون إدارته ، والمشايخ المدرسين أصبحوا يحتلون مكانة مرموقة على الساحة السياسية والاجتماعية والثقافية بالبلاد ، فضلا عن طلبتهم الذين لا نغالي إذا قلنا إنهم يمثلون أكبر كتلة شبا نية مسيسة ومؤطرة ثقافيا واجتماعيا على الساحة التونسية، والقوة التي تحسب لها كل الأطراف السياسية ألف حساب.[5]

3. ظهور الجمعيات الممثلة للطلبة بين الزيتونيين :

عرف جامع الزيتونة العديد من الجمعيات التي تمثل الطلبة الدارسين به، تنوعت حسب الفئات التي تمثلها ، وحسب الأهداف التي أنشأت من أجلها .

فقد ظهرت جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين سنة 1933 لتمثل كل الطلبة الجزائريين سواء من بعثات جمعية العلماء أو المنتمين إلى غيرها [6].

وإلى جانبها نجد المجمع العام لجميع الطلبة الذي تأسس يوم 15نوفمبر1936 بمشاركة طلبة الجامع الأعظم وفروعه : الخلدونية وتلامذة المعاهد الثانوية والمدارس

الابتدائية العليا ، ومدرسة اللغة والآداب العربية ومدرسة الحقوق التونسية ، ويتمثل دور هذه الجمعية في تجميع الأنشطة ، والدعاية الوطنية الطلابية [7].

وشبيبة شمال إفريقيا الموحدة التي أسسها محمد العيد الجباري[8] في فيفري 1938 بهدف توحيد الشباب الوطني في الأقطار المغربية الثلاثة ، وجمعية إعانة الضعفاء الطلبة، التي ترمي على إعانة طلبة الجامع الأعظم ماديا ومعنويا ، وهناك عدد آخر من الجمعيات الزيتونية ، مثل : الوداديات التي كانت موجودة بالعاصمة وتضم طلبة الجامع الأعظم حسب المناطق التي ينتمون إليها ، ونخص بالذكر منها : الرابطة الفهرية الزيتونية ، والرابطة الثقافية لطلبة الجريد ، والجمعية الزيتونية بالكاف ، واللجنة الزيتونية الصفا قصية ، والاتحاد الثقافي لطلبة مجاز الباب ، والأمل الزيتوني السوسي ، والشبيبة الزيتونية بتطاوين ، والاتحاد الثقافي لعمل قابس وغيرها [9].

إن وجود هذه الجمعيات بالصفة المحلية التي تحملها حسب المناطق التي ينحدر منها الطلبة ، أدت بالطلبة القادمين من وادي سوف على الانتباه لضرورة تأسيس جمعية خاصة بهم تجمع في صفوفها الشبيبة السوقية .

ثانيا : مبادئ وأهداف الجمعية وقانونها الداخلي :

إن الوثائق الأرشيفية التي حصلنا عليها، تقر بأن نشأة وظهور هذه الجمعية كان وفقا للمرسوم الصادر في شهر أوت 1936 ، الخاص بالجمعيات، وأن تاريخ ظهورها كان في شهر ماي منى سنة 1937. وأن هدفها هو تكوين علاقات وطيدة وأخوية بين المنضمين إليها، وإرساء علاقات حميمية بين الدارسين في الجامع الكبير [10].

أما عن طبيعة الجمعية فإنها طلابية خالصة وليس لها أي ارتباط سياسي[11].

هذا ما يبين أن هذه الجمعية حاولت الابتعاد عن ما يعرقل سيرها ، خاصة وأنها ظهرت في ظرف كانت الأوضاع في القطر التونسي تشهد اضطرابا ، وكانت بوادر الحرب العالمية الثانية بدأت تلوح في الأفق العالمي .

ومن خلال قانونها الداخلي نجد أن المادة الثالثة منه تنص على أن الأعضاء النشطين يتم اختيارهم منت بين المتمدرسين ، أو من الأشخاص الراغبين في النشاط وفق ما حددته الجمعي من مبادئ وأهداف [12].

وهذا ما ينطبق على التسمية التي تحمل اسم الشباب فلو كانت طلابية محضة لما حملت هذه التسمية ، ولذا يظهر أن الغرض من ذلك هوز تجنيد اكبر عدد من أهل منطقة سوف المتواجدين بتونس خاصة الشباب منهم .

ويتحدث القانون الداخلي عن ميزانية الجمعية التي تضمنتها المادة الرابعة ، والتي تقر بأن صندوق الجمعية يتكون من اشتراكات الأعضاء والمنتسبين . ولقدت حددت هذه المادة مبلغ الاشتراك ب : 24 فرنك كاشتراك سنوي ، ويضاف إلى ذلك ما تتلقاه الجمعية من هبات [13].

ولذا فإن هذه الجمعية التي تأسست من مجموعة من الشباب الجزائريين القادمين من منطقة وادي سوف ، الذين جاءوا لواصلة الدراسة بالانضمام على المسجد الكبير ، تكون قد حددت لنفسها جمع شمل هؤلاء الطلبة والدفاع عن مصالحهم المرتبطة بالجانب الدراسي والاجتماعي .

ويتضمن قانونها الداخلي كيفية تشكيل مكتبها والذي يتألف من المناصب الإدارية التالية :

الرئيس ـ نائب الرئيس ـ الكاتب العام ـ الكاتب المساعد ـ أمين المال ـ مساعد أمين المال ـ عددا من الأعضاء . [14]

ثالثا. نبذة عن المكتب الأول للجمعية :

تألف أول مكتب لجمعية الشباب السوفي الزيتوني من الشخصيات التالية :

1ـ الرئيس : عبد الرحمان بن أحمد بن لخضر : جزائري ولد بواد سوف ، عمره عند تأسيس الجمعية ثلاثون سنة ، طالبا بالمسجد الكبير ، أرسل من طرف

والديه ، درس بالمدارس القرآنية بالوادي ، عمل مع والده في الفلاحة بسوف ، في 1927 انتقل إلى تونس لمواصلة دراسته بالمسجد الكبير ، يقطن ـ حينها ـ في 49 شارع عبد الوهاب بالمدرسة الحبيبية ، حسب التقارير الفرنسية ، سيرته نظيفة وليس له أي سوابق في النشاط الوطني ن معروف لدى مصالح الأمن.[15].

2 ـ نائب الرئيس : محمود بن محمد بن أحمد المناعي :

جزائري من وادي سوف ، ولد حوالي 1901 ، من محمد وعائشة بنت الحاج احمد، متزوج من الشاذلية بنت الصغير ، لديه ولدين ، تاجر مقيم ب: 9 شارع سيدي الجليزي، تربى عند والديه حيث التحق بالمدرسة القرآنية بمقر إقامته، ثم تابع دروسه في المدارس الفرنسية العربية، وعندما كان عمره 17 سنة أبدى رغبة في مغادرة المدرسة، فاشتغل نجارا حوالي ثلاث سنوات وفي مساعدة والده في الفلاحة بسوف في 23 ماي 1930 قدم إلى تونس لمواصلة دراسته في المسجد الكبير وفي 1932 عمل سائقا في الترمواي بتونس ، وحاليا هو تاجر في الزيوت، ليس له أية نشاط وطني سابق [16].

3 ـ الكاتب العام : مصباح بن الطيب :جزائري ولد بالوادي عمره 25 سنة ، طالب بالمسجد الكبير ، مقيم بمدرسة الهواء، تكون على يد والده ، تر على المدرسة القرآنية بمدينته التي ولد بها ، ثم التحق بتونس لمتابعة دروسه بالمسجد الكبير ، ليس لديه أي نشاط في المجال الوطني.[17]

4 ـ الكاتب المساعد : العيد بن الأطرش : جزائري ولد بسوف خلال 1911، طالبا بالمسجد الكبير ، تكون على يد والديه وتردد على الكتاب بسوف، قدم إلى تونس منذ سنوات ، لمتابعة دروسه بالمسجد الكبير، سيرته الذاتية جيدة .[18].

5 ـ أمين المال : عمر باري : أصله من قالمة نشأ لدى عائلته قدم إلى تونس منذ عشرون سنة ، تردد على المسجد الكبير ، وحصل منه على شهادة التطويع ،

حاليا يشتغل تاجرا في الصوف ، مقيم ب: 9 شارع الجليزي ، غير معروف. سيرته سيئة[19].

6 ـ مساعد أمين المال : عبد الحق بن علي : جزائري أصلا من الوادي ، نشأ على يد والديه ، تردد على المدرسة القرآنية لمدينة ميلاده ، قدم إلى تونس منذ سنتين بهدف مواصلة دروسه في المسجد الكبير ، ومنذ الإضراب الأخير أصبح يتردد على الجامعة، مقيم ب: 9 شارع الجليزي ، ليس عليه أية ملاحظة مرفوضة .[20]

7 ـ الأعضاء :

- يوسف بن إبراهيم : 24 سنة .
- الطاهر علالي: 23 سنة.
- بشير بن عثمان : 28 سنة .
- محمد الصالح الطيب: 29 سنة .
- عثمان بن أحمد بن إبراهيم : 24 سنة .
- بالقاسم بن حمد بن محمد : 20 سنة .

كلهم جزائريون أصلا من وادي سوف قدموا منذ حوالي سنوات إلى تونس لمتابعة دروسهم بالمسجد الكبير ، أكثرهم عاد إلى الدراسة منذ الإضراب الأخير في نفس المؤسسة[21].

نلاحظ من خلال ما جاء في القانون الداخلي لهذه الجمعية أنها قد حددت أهدافها التي على رأسها مساعدة الطلبة القادمين إلى تونس من منطقة وادي سوف، والتكفل بانشغالاتهم المختلفة بغية توطيد العلاقات بينهم، وتقوية الروابط بينهم وبين غيرهم من الطلبة.

الخاتمة :

إن جمعية الشباب السوفي الزيتوني التي ظهرت بجامع الزيتونة بتونس ، تعتبر إطارا للم شمل الطلبة والشباب السوافة المتواجدين بتونس، ولذا فإن الوثائق التي

استقينا منها المعلومات المتوفرة حولها، تعطينا نظرة ـ ولو بسيطة ـ عن نشاط هذه الفئة وآفاقها . ثم الحرص الذي كان لديهم للقيام بتقديم الدعم والعون لبعضهم البعض سواء فيما يتعلق بالدراسة أو غيرها كالأمور المادية والمعنوية .

ولقد ساعد على ظهور هذه الجمعية كما بينا عددا من العوامل التي أدت لبروزها إلى الوجود، والعوامل المذكورة لا يمكن فصل بعضها عن بعض، فتزايد عدد الطلبة الدارسين بالزيتونة من جهة، وتنامي الوعي لديهم من جهة أخرى، وظهور الجمعيات وتكاثرها . كلها يعزى إليها التمهيد لميلاد هذه الجمعية.

فقد بينا القانون الداخلي المسير للجمعية، وكيفية الانخراط في صفوفها، وميزانيتها والأهداف التي رسمت لها، وأعطينا نبذة مختصرة عن الأعضاء المشكلين للمكتب الأول لها.

ورغم الافتقاد للكثير من التفاصيل المكملة لمسيرة ومآل هذه الجمعية ، إلا أن هذه الوثائق أتاحت لنا الكشف عنها كجزء من نشاط الطلبة الجزائريين بتونس في المجال النقابي، والاجتماعي .

الهوامش :

1 ـ علي غنابزية ، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ//19م(مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الإنسانية : قسم التاريخ، السنة الجامعية : 2001/2000، ص149.

2 ـ حمزة بوكوشة : ولد في شهر أكتوبر 1906 بوادي سوف ، دخل عند سن الخامسة المسجد لتعلم الكتابة والقراءة حفظ القرآن الكريم كله عند بلوغ 14 من العمر.توجه بعدها إلى الزيتونة وذلك في سنة 1923وانتظم في سلك الطلبة به. شارك في الكتابة الصحفية ، وبعد عودته صاحبه أبوه إلى الجزائر العاصمة وذلك في شهر سبتمبر 1930وفيها تعرف على نخبة من العلماء ، وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5ماي 1931حضر تأسيسها وكان من أعضائها العاملين واشتغل بالتدريس وفي سنة 1936 انتدبه الشيخ عبد الحميد بن باديس للتدريس بالجامع الأخضر بقسنطينة، ثم ترأس في جوان 1937تحرير جريدة المغرب العربي بوهران ، ثم عاد إلى قسنطينة ، وفي سنة 1944 أسندت له نيابة الكتابة العامة لجمعية العلماء، وفي سنة 1948 عين في هيئة تحرير البصائر ، وعام 1950 باشر التدريس بفرع معهد ابن باديس ببلكور، واعتقل من طرف السلطات الفرنسية وقضى سنتين في السجن . ولما استقلت الجزائر التحق بالتعليم الثانوي ، وسنة 1966انتمى إلى معهد الحقوق كدارس فأحرز شهادة الليسانس وعين سنة 1972مستشارا بالغرفة المدنية لوزارة العدل .وابتداء من 1980اشتغل بالمحاماة حتى سنة 1988 عندما اعتزلها . وافته المنية ظهر يوم الجمعة 18نوفمبر 1994وشيع جثمانه بمقبرة القطار

بـالجزائر العاصـمة يـوم الـسبت 19نـوفمبر 1994 رحمـه الله.انظـر : البـصائر ، العـدد177، 02 ـ 2004/02/09.والعدد ، 179، 16 ـ 2004/02/23.

3 ـ محمد الصالح الجابري ، الأدب الجزائري في تونس ، ط1، تونس ، بيت الحكمة ، ج1، 1991، ص ص17 ـ 18 .

وكذلك أبو القاسم سعد الله ، منطلقات فكرية ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1974، ص44.

4 ـ محمد السعيد عقيب ، الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ومساهمته في الثورة ، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر) ، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الإنسانية : قسم التاريخ ، السنة الجامعية : 2001/2000. ص 25 وما بعدها.

5 ـ علي زيدي ، دور الزيتونيين في الحركة الوطنية التونسية ، (1904 ـ 1954) ، (أطروحة دكتوراه في التاريخ) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تونس ، السنة الجامعية : 2001/2000، ج2 ، ص684.

6 ـ محمد السعيد عقيب ، المرجع السابق ، ص 25 .

7 ـ مختار العياشي ، البيئة الزيتونية (1900 ـ 1945) ، (تعريب : حمادي الساحلي) ، تونس، دار التركي للنشر ، 1990، ص 137.

8 ـ محمد العيد الجباري : أصله من ولاية قسنطينة ولد سنة 1911، ساهم مساهمة كبيرة في الحركة الوطنية التونسية كعضو مسؤول عن تكوين الشبيبة في الحزب الحر الدستوري التونسي، منذ سنة 1934. ولذلك تعرض للسجن والإبعاد سبع مرات ، وكان له نشاط واسع في الصحافة التونسية حيث نشر أشعاره ومقالاته، من مؤلفاته : " الفرائد في العلم والأدب والاجتماع ". سنة 1937، وديوان : " اللهيب" الذي نشر بتونس سنة 1974.

9 ـ مختار العياشي، المرجع السابق ، ص ص 137 ـ 138.

10 ـ مركز الأرشيف الوطني التونسي ، السلسلة / E ، العلبة/509، الملف/252.

11 ـ نفس المصدر

12 ـ نفس المصدر

13 ـ نفس المصدر

14 ـ مركز الأرشيف الوطني التونسي ، السلسلة / E ، العلبة/509، الملف/252.

15 ـ نفس المصدر

16 ـ نفس المصدر

17 ـ نفس المصدر

18 ـ نفس المصدر .

19 ـ نفس المصدر .

20 ـ نفس المصدر .

21 ـ نفس المصدر .